بسم الله الرحمن الرحيم

تأملات
في
سورة القدر

للدكتور
إسماعيل عبدالعزيز محمود أبوشطرة
مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم
بالكلية

تقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أفاضت على العالمين نعماؤه ، وغمرت كل المخلوقات آلاؤه. سبحانه من رب كريم، وإله رحيم ، ورزاق عظيم ، ووهاب حكيم. الإحسان صناعته، والوداد وصفه، والفضل شيمته، والخير إنعامه، والنعيم إغداقه، والرأفة ديدنه، والرحمة وسمه، والبر نثره ، والبركة مدده، والحنان هبته، والعطايا سمته، والمنح عطاؤه وجوده ومعروفه.

وأشهد أن لا إله فى الكون سواه ، ولامعبود بحق إلا إياه ، فهو المعبود الأوحد ، والرب المتفرد ، والقدوس الأمجد ، والملك الصمد ، المنزه عن المعايب والنقائص ، المنفرد بالإيجاد والإعدام فلم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

تعالت صفاته ، وتقدست أسماؤه ، وتسامت ذاته ، وتنزهت أفعاله ، فلايليق به إلا كل بهاء وجلال ، ولا يوصف إلا بكل جمال وكمال. لم تحط به العقول والأفهام ، ولم يدرك كنهه أولوا النهى والأحلام، فهو فوق الوصف ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾(١).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين . اللهم اجزه عنا ماهو أهله وصلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى إخوانه النبيين والمرسلين ، وزوجاته أمهات المؤمنين ، وآل بيته الطيبين الطاهرين، والصحابة والتابعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) سورة الشورى : جزء من الآية رقم (١١).

ثم اما بعد

فإن أجلّ النعم وأعظمها على الإطلاق هو القرآن الكريم ، الذى بلغ من السمو والعظمة والفضل والشرف مالم يستطع بشر أن يحيط بخبره، فهو المعجزة التى أعجزت البلغاء ، وأخرست الفصحاء ، وأسكتت الشعراء، كيف لا ؟ والكلمات تتيه فى وصفه ، والعبارات تضيق أمام رونقه وروعته، فإذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة .

والبحث فى تفسير القرآن الكريم سيظل موصولا ماتواصل الليل بالنهار، لأنه الكتاب الخالد ، والعلم الصامد ، والغيث المغيث الذى لن تنتهى بركاته وعجائبه إلى أن تقوم الساعة .

فالعلماء مهما أعملوا فيه عقولهم ، وبذلوا فيه جهدهم ، ووهبوه طاقتهم، وأسهروا ليلهم ، وأتعبوا نهارهم فلن يصلوا إلى نهاية أسراره، لأنه البحر الخضم المحيط، الذى لاساحل له ولاشطآن .

وسورة « **القدر** » التى يدور حولها البحث ماهى إلا معجزة من معجزاته ، عمدنا الى تفسيرها دراسة موضوعية . فنقول وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقد دارت خطة هذا البحث كالتالى :

أولا : بدأته بمقدمة ، ثم تمهيد للسورة المطهرة .

ثانيا : بينت مفردات السورة الكريمة بما تيسر من كتب اللغة .

ثالثا : عنونت لكل آية عنوانا يتمشى مع مافهمته منها .

رابعا: اعتمدت على ماكتبه السابقون ، ورجحت مارأيته راجحاً مستنداً فى ذلك إلى الدليل .

خامسا : خرجت الأحاديث النبوية من كتب السنة المطهرة .

سادسا : طوفت بالقارىء الكريم حول ليلة القدر المباركة وجميع خصائصها، لأنه لايمكن الاستغناء عنه فى هذا الصدد .

سابعا : صدرت آرائى فى البحث بكلمة : قلت وختمت النصوص المنقولة بحرفى أ هـ .

ثامنا : أثبت طبعات الكتب وتواريخها فى نهاية البحث .

هذا ونسأل الله أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفعها بالقرآن الكريم فى الدنيا والآخرة ، وأن يرزقنا قيام ليلة القدر المباركة ، وأن يباركنا بنفحاتها وأنوارها إنه خير مأمول ونعم مسؤل .

وصلى الله على سيدنا محمد فى البدء وفى الختام

والحمد لله رب العالمين

تمهيد

بين يدى سورة القدر

وجه تسميتها بهذا الاسم البديع :

سميت السورة الجليلة بسورة القدر لماجمعته فى ثناياها من تنويه بشرف القرآن الكريم المنزل فى هذه الليلة المباركة ، وما حوته من طلاوة معان ، وبديع أسرار تؤكد قداسة وعظمة وسر وجلال وسمو وهيبة هذه الليلة المشهودة فى الملأ الأعلى .

وما هذه القداسة والعظمة والسر والجلال والسمو والهيبة إلا نفحة من بركات مانزل ، وأنوار ما أطل ، وبهاء ما أفاض وهو القرآن الكريم فسميت بسورة «**القدر**» لما لها من الخطر الكبير، والشأن الجزيل ، والقدر الوفير، والعطاء الكثير ، والهدى المنير.

يقول الزركشى [فى اختصاص كل سورة بما سميت به] : ينبغى النظر فى اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعى فى الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر، أو مستغرب يكون فى الشىء من خَلْقٍ أو صفة تخصه ، أو تكون معه أحكم، أو أكثرأو أسبق لإدراك الرائى للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز [1] أهـ.

قلت : وما هو جدير بالعناية والذكر أن أسماء سور القرآن المجيد توقيفية على الرأى الراجح . يقول السيوطى : وقد ثبتت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار [2] أهـ.

---

(١) البرهان في علوم القرآن : للزركشي : (٢٧٠/١)، ويراجع الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي : (٧٣/١، ٧٤).

(٢) الإتقان : (٦٩/١) .

أسماء السورة الكريمة:

لم تحظ السورة المباركة بأسماء متعددة كغيرها فليس لها إلا اسم واحد وهو «القدر» وكفى به نعمة، يقول السيوطي: قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر. من ذلك الفاتحة، وقد وقفت لها على نيف وعشرين اسما، وذلك يدل على شرفها، فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى [1] أهـ.

مكان نزول سورة «القدر»:

سورة القدر من السور المختلف في مكان نزولها، فمن قائل بمكيتها، وآخر بمدنيتها. يقول القرطبي: سورة «القدر» وهي مدنية في قول أكثر المفسرين ذكره الثعلبي. وحكى الماوردي عكسه. قلت: وهي مدنية في قول الضحاك، وأحد قولي ابن عباس. وذكر الواقدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة [2] أهـ، وعدها الزركشي ضمن مانزل في مكة [3]. وقال السيوطي: (سورة القدر) فيها قولان، والأكثر أنها مكية، ويستدل بكونها مدنية بما أخرجه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت - إنا أعطيناك الكوثر- ونزلت- إنا أنزلناه في ليلة القدر- الحديث [4]. قال المزي: وهو حديث منكر [5] أهـ.

---

(١) الإتقان (٧٠/١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: (١٢٩/٢٠).
(٣) البرهان: (١٩٣/١).
(٤) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب تفسير القرآن: ومن سورة ليلة القدر: (١٩٦/٩، ١٩٧) «تحفة الأحوذي».
(٥) الإتقان: (١٨/١).

قلت : والقول بمكية السورة الكريمة أولى من غيره ، وذلك لعدة أسباب:

الأول : نكارة الحديث الذى استدل به القائلون بمدنية السورة . وقد قال ابن كثير: هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا [1] أ هـ قلت : بل حكم عليه ابن عاشور بالوضع فقال : هو مختل المعنى وسمات الوضع لائحة عليه [2] أهـ .

الثانى: لحديث السورة عن القرآن الكريم ، ونزوله ، والليلة التى أنزل فيها. وفى كل ذلك لفت لأنظار أهل مكة إلى القرآن الكريم ، فيقبلوا على مافيه ويتدبروا معانيه، ويؤمنوا به .

الثالث: حديث السورة المجيدة عن الوحى، والملائكة، والروح، وهذه كلها أمور غيبية تدل على كون السورة مكية .

الرابع : قصر السورة ، وقصر فواصلها، والإيجاز المعبر فيها، وهذا إنما تناسب مع أهل مكة. يقول الزرقانى : إنه سلك مع أهل مكة سبيل الإيجاز فى خطابه حتى جاءت السور المكية قصيرة الآيات ، صغيرة السور جملة، لأنهم كانوا أهل فصاحة ولَسَن ، صناعتهم الكلام وهمتهم البيان، فيناسبهم الإيجاز والإقلال دون الإسهاب والإطناب [3] أهـ .

الخامس : خلو السورة العظيمة من جملة التشريع والآداب والمعاملات والأحكام التى تتمشى مع مجتمع المدينة ، واشتهرت بها السور المدنية.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٦٣).
(٢) التحرير والتنوير : (١٥/٤٦٠).
(٣) مناهل العرفان : (١/٢٠٣).

ترتيب السورة الكريمة من حيث النزول:

يقول الزركشي في البرهان: أول مانزل من القرآن بمكة: (اقرأ باسم ربك) ثم (ن والقلم) ثم (يأيها المزمل)، ثم (تبت يدا أبي لهب) ثم (إذا الشمس كورت) ثم (سبح اسم ربك الأعلى) ثم (والليل إذا يغشى) ثم (والفجر).. ثم (عبس وتولى) ثم (إنا أنزلناه) ثم (والشمس وضحاها)[1] أهـ.

قلت: فيعلم من هذا أن ترتيب السورة المجيدة من حيث النزول بعد سورة عبس وقبل سورة التكوير.

ترتيب السورة الجليلة في المصحف الشريف:

رتبت في المصحف الشريف بين سورة «العلق» وسورة «البينة» وهذا الترتيب هل هو توقيفي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من لدن ربه تعالى، وليس لأحد من الصحابة دخل فيه أو يفصل؟

يقول الزركشي في ذلك ثلاثة أقوال:

مذهب جمهور العلماء، منهم مالك، والقاضي أبو بكر بن الطيب فيما اعتمده واستقر عليه رأيه من [أحد قوليه إلى الثاني]، وأنه صلى الله عليه وسلم فوض ذلك إلى أمته من بعده.

وذهبت طائفة إلى الأول، والخلاف يرجع إلى اللفظ، لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب النزول، ومواقع كلماته، ولهذا قال الإمام مالك: إنما ألفوا القرآن على ماكانوا يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم، ومع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم. فآل الخلاف إلى أنه: هل ذلك بتوقيف قولي أم بمجرد استناد فعلي، وبحيث

---

(١) البرهان: (١/١٩٣).

بقى لهم فيه مجال للنظر. فإن قيل : فإذا كانوا قد سمعوه منه كما استقر عليه ترتيبه ففى ماذا أعملوا الأفكار ؟ وأى مجال بقى لهم بعد هذا الاعتبار؟

والقول الثالث : مال إليه القاضى أبو محمد بن عطية : أن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها فى حياته صلى الله عليه وسلم، السبع الطوال والحواميم والمفصل ، وأشاروا إلى أن ماسوى ذلك يمكن أن يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده [1] أهـ .

قلت : والذى أختاره من هذه الأقوال القول القائل بأن ترتيب السور المباركة حسب ترتيب المصحف الشريف **توقيفى** عن المعصوم صلى الله عليه وسلم وليس للصحابة دخل فيه. يقول الزركشي : لترتيب وضع السور فى المصحف أسباب تطلع على أنه **توقيفى** صادر عن حكيم :

أحدها : بحسب الحروف كما فى الحواميم .

وثانيها : لموافقة أول السورة آخر ماقبلها . كآخر الحمد فى المعنى وأول البقرة .

وثالثها : للوزن فى اللفظ كآخر « تبت » وأول « الإخلاص » .

ورابعها: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل « والضحى» و «ألم نشرح» [2] أهـ.

ترتيب السورة المطهرة من حيث عدها فى المصحف الشريف .

تقع السورة من هذه الحيثية السورة رقم (٩٧) .

---

(١) البرهان : (٢٥٧/١).

(٢) البرهان : (٢٦٠/١)..

عدد آيات السورة المكرمة :

آياتها خمس فى العدد المدنى والبصرى والكوفى، وست فى العدد المكى والشامى .(١) .

عدد كلمات سورة القدر:

عدد كلماتها ثلاثون كلمة .

عدد حروف السورة المشرفة:

عدد **حروفها** مائة وأربعة عشر حرفاً .

مناسبة السورة المقدسة لما قبلها وما بعدها :

تظهر **المناسبة** واضحة جلية بين آخر سورة « **العلق** » وأول سورة **القدر**» حيث ورد النهى فى قوله تعالى ﴿ لا تطعه ﴾ والأمران فى قوله تعالى : ﴿ واسجد ﴾ ﴿ واقترب ﴾ فالنهى عن طاعة المشرك والأمر بالسجود لله تعالى والاقتراب إليه ، إنما هو من جملة الآداب، والتعاليم، والتربية للرسول صلى الله عليه وسلم، والتى تمت له عن طريق القرآن الكريم ، وأنواره ، وإشراقاته بالوحى المعصوم، وإنزاله فى ليلة القدر ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾ أى : القرآن الكريم المنزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المشتمل على جملة النواهى والأوامر .

وتبدو المناسبة بين آخر سورة القدر، وأول سورة البينة . حيث ذكر المولى سبحانه وتعالى تنزل الملائكة والروح فى ليلة القدر التى أنزل فيها القرآن الكريم قائلا : ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ﴾، وفى سورة البينة ذكر

---

(١) التحرير والتنوير (١٥/٤٥٥)

تلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم للصحف المطهرة قائلا : ﴿ رسول من الله يتلو صحفا مطهرة ﴾ فكما أن الملائكة إنما ينزلون فى ليلة القدر، فكذلك ينزلون مع كل نجم من نجوم القرآن المجيد، والذى يتلوه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ليحفظوه من كل شيطان ، وبهذا يتم الوثوق فى تلاوة النبى صلى الله عليه وسلم، ويكون الاعتقاد بطهارة صحفه وماحوته .

أغراض السورة المجيدة:

التنبيه بفضل القرآن وعظمته بإسناد إنزاله إلى الله تعالى ، والرد على الذين جحدوا أن يكون القرآن منزلا من الله تعالى. ورفع شأن الوقت الذى أنزل فيه ، ونزول الملائكة فى ليلة إنزاله . وتفضيل الليلة التى توافق ليلة إنزاله من كل عام . ويستتبع ذلك تحريض المسلمين على تحيُّن ليلة القدر بالقيام والتصديق .[1]

وبعد هذه التقدمة للسورة المباركة نستفتح بالذى هو خير ونبدأ فى تفسيرها فنقول وبالله التوفيق.

﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ① وما أدراك ما ليلة القدر ② ليلة القدر خير من ألف شهر ③ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ④ سلام هى حتى مطلع الفجر ⑤ ﴾.

بيان معانى المفردات:

أنزلناه : نزل ينزل نزولا انحط من علو إلى سفل .[2]

ليلة : الليل واحد بمعنى جمع وواحدته (ليلة) مثل تمر وتمرة وقد جمع على (ليال) فزادوا فيه الياء على غير قياس ونظيره أهل وأهال [3] والليل:

---

(١) التحرير والتنوير : للطاهر بن عاشور (٣٠/٤٥٥ ، ٤٥٦).

(٢) القاموس القويم للقرآن الكريم : للأستاذ إبراهيم عاشور (٢/٢٦٠)

(٣) مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر (ص ٦١١).

هو مايعقب النهار من غروب الشمس إلى طلوعها ، أو من غروبها إلى الفجر الصادق [1].

القدر : (قَدْر) الشيء مبلغه .. وهو بسكون الدال وفتحها ذكره في التهذيب والمجمل . وقَدَر الله و (قدْره) بمعنى وهو في الأصل مصدر قال تعالى ﴿ وماقدر الله حق قدره ﴾ [2] قدروا أي ماعظموه حق تعظيم . و(القدَر) و(القدر) أيضا مايقدره الله من القضاء [3].

وقَدَرَهُ - يقدُرُهُ قدْرا : عرفه وعرف منزلتهُ وعظم قدرهُ وأنزله من نفس المكانة اللائقة به [4].

وليلة القدر : ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبه إلى محبوبه وهو وقت ابتداء وصول السالك إلى عين الجمع ومقام البالغين في المعرفة [5].

ادراك : درى - (دراه) و (دَرَى) به أي علم به من باب رَمَى و (دِرَايةً و (دُرْية أيضا بضم الدال وكسرها . ويقولون لا (أدْرِ) بحذف الياء تخفيفا لكثرة الاستعمال كما قالوا لم أبَلْ ولم يَك . و(أدراه) أعلمه [6].

درى الشيء يدريه : علمه ، ودرى به يتعدى بنفسه وبحرف الجر ، قال تعالى : ﴿ ولم أدر ما حسابيه ﴾ [7] أي : لم أعلمه يتمنى أنه لم يعلم حسابه يوم القيامه لسوء ما فيه - وأدراه : الشيء وأدراه به : أعلمه إياه أعلمه به

---

(١) القاموس القويم : (٢/٢١٠).
(٢) سورة الزمر جزء من الآية رقم (٦٧).
(٣) مختار الصحاح (ص٥٢٣).
(٤) القاموس القويم (٢/١٠٢).
(٥) التعريفات : للجرجاني : (ص ١٩٤).
(٦) مختار الصحاح : (ص ٢٠١).
(٧) سورة الحاقة : الآية رقم : (٢٦).

قال تعالى : ﴿ وما أدراك ما الحاقة ﴾[1] أى ما أعلمك موعدها أو قدرها العظيم وهو أسلوب فيه تهويل وتعظيم لشأن يوم القيامة ، وقال تعالى: ﴿ قل لو شاء ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ﴾ [2] أى ولا أعلمكم به [3].

خير : (الخير) ضد الشر وبابه باع تقول (خرْتَ) يارجل فانت (خائر) و(خار) الله لك [4].

والخير : مافيه نفع وصلاح .. وخير : اسم تفضيل على غير قياس أو حزفت همزته ويدل على التفضيل حسب سياق الكلام قال تعالى : ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ﴾ [5] أى بما هو أكثر خيراً أو نفعاً [6].

الف : (الألف) عدد وهو مذكر يقال هذا ألف واحد ولايقال واحدة وهذا ألف أقرع أى تام ولايقال قرعاء . وقال ابن السكيت لو قلت هذه ألف بمعنى الدراهم لجاز والجمع (ألوف) و (آلاف) [7].

شهر : الشهر العدد المعروف من الأيام يبدأ بظهور الهلال وينتهى باختفائه .. وجمع الشهر أشهر [8].

---

(١) سورة الحاقة : الآية رقم : (٢).
(٢) سورة يونس : جزء من الآية رقم : (١٦).
(٣) القاموس القويم (٢٢٧/١).
(٤) مختار الصحاح (ص ١٩٤).
(٥) سورة آل عمران : جزء من الآية رقم : (١٥).
(٦) القاموس القويم (٢١٦/١).
(٧) مختار الصحاح (ص٢١).
(٨) القاموس القويم (٣٦٠/١).

الملائكة : أرواح نورانية لاترى وتتشكل بإذن الله وأمره أشكالا مختلفة وهم مثل للطهر والطاعة [1].

الروح : يذكر ويؤنث والجمع (الأرواح) . ويسمى القرآن وعيسى وجبرائيل عليهما السلام روحا، والنسبة إلى الملائكة والجن (روحانى) والجمع روحانيون . وكذا كل شيء فيه روح (روحانى) بالضم [2].

بإذن : والإذن : الإباحة ، والإذن : الأمر قال تعالى : (فإنة نزله على قلبك بإذن الله)[3] أى : بأمره وإباحته [4]

ربهم : (ربُ) كل شيء مالكه و(الرب) اسم من اسماء الله تعالى ولايقال فى غيره إلا بالإضافة وقد قالوه فى الجاهلية للملك.. (ربُه) و (تربَّبه) أى: رباه [5].

أمر : والأمر ، جمعه أمور يراد به مايأتى :

أ- طلب الفعل وهو ضد النهى .

ب- والمأمور به أى : المطلوب فعله .

جـ- والشأن والحال ، ويفسر فى كل مقام بحسبه [6].

---

(١) التعريفات : (ص ٢٢٩) ، القاموس القويم (٢/٢٣٥).

(٢) مختار الصحاح : (ص ٢٦١)

(٣) سورة آل عمران : جزء من الآية رقم : (٦٧).

(٤) القاموس القويم : (١/١٥)

(٥) مختار الصحاح : (٢٢٨).

(٦) القاموس القويم : (١/٣٠).

قلت : والأمر فى سورة القدر هو المأمور به أى المطلوب فعله والله أعلم.

سلام : السلام الأمان والنجاة من الشرور [1] وجاء فى تعريفه بأنه : تجرد النفس عن المحنة فى الدارين [2].

مطلع : مصدر ميمى (حتى مطلع الفجر) أكثر القراء على قراءتها بفتح اللام ويجوز أن يكون مطلع : اسم زمان أى : زمن طلوع الفجر [3] .

الفجر : و (الفجر) فى آخر الليل كالشفق فى أوله [4] والفجر : أول النهار لأنه يشق ظلام الليل بنوره [5].

---

(١) القاموس القويم (١/٣٢٥).

(٢) التعريفات (ص ١٢٠).

(٣) القاموس القويم (١/٤٠٥).

(٤) مختار الصحاح (٤٩١).

(٥) القاموس القويم (٢/٧٢).

شرف القرآن الكريم ومنزلته ومكانته

لا يشك عاقل أن للقرآن شرفاً عظيماً ومنزلة رفيعة ومكانة مكينة كريمة تشرأب إليها الأعناق - وذلك فى قلوب أتباعه وادى المنصفين من أعدائه - فهو كتاب البشرية الخالد عبر الزمان ، وطبيبهم فى كل أوان، غيثهم فى الملمات ، وملاذهم عند الحاجات ، فيه صلاح العاجل والآجل، والقاصى والدانى والأحمر والأسود .

فلهذا ، عظمه الله وأسند إنزاله إليه ، وعظم الوقت الذى أنزل فيه وسمى الليلة التى أنزل فيها « ليلة القدر » تنبيها على أنه حاز من القدر والشرف والمنزلة والمكانة مالايمكن أن يقف على وصفه واصف ، أو يحيط به بشر.

يقول الفخرالرازى فى قول الله تعالى:﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾[1] فى المسألة الأولى: أجمع المفسرون على أن المراد: إنا أنزلنا القرآن فى ليلة القدر ولكنه تعالى ترك التصريح بالذكر لأن هذا التركيب يدل على عظم القرآن من ثلاثة أوجهٌ :

احدها : أنه أسند إنزاله إليه ، وجعله مختصا به دون غيره ،

والثانى: أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر. شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التصريح ..

والثالث : تعظيم الوقت الذى أنزل فيه [1].

---

(١) سورة القدر : الآية رقم (١).

(٢) مفاتيح الغيب : (المجلد ١٦ جزء ٣٢ ص ٢٧).

نزول القرآن الكريم فى ليلة القدر

بعد أن طال ليل الشرك وادلهم ، وغاب النهار وعم الظلم ، وانتشر فى الأرض الفساد ، واعتلى الاستبداد، وطم الاستعباد ، وكفر بربهم العباد، فإذ بليل الكفر يؤذن بارتحال، وتنبجس شمس تبدد الظلام ، وتنبعث أشعتها على الأرض فتزدهى ، وترسل أضوائها الحانية على القلوب فتهتدى ، ويندحر الظلم ، وينقشع الظلام ، ويفيض السلام ، ويهنأ الأنام بما عمهم الله من جود وكرم ، وأفاض عليهم من نعم بإنزال القرآن المجيد جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا، وذلك فى ليلة القدر من شهر رمضان المعظم ، ثم أنزله الله منجما بواسطه جبريل عليه السلام على النبى الأمين صلى الله عليه وسلم حسب الدواعى والأحوال ، والوقائع والأحداث فى ثلاث وعشرين سنة وبضعة أشهر .

يقول ربنا الرحمن الرحيم جل وعلا : ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ (١) ويقول ﴿حم والكتاب المبين إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم﴾ (٢).

ويقول : ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ (٣). فالليلة التى أنزل فيها القرآن هى ليلة القدر ، وليلة القدر فى شهر رمضان المعظم ، وهى التى وصفت كما فى سورة الدخان بأنها ليلة مباركة .

---

(١) سورة القدر : الآية رقم : (١) .

(٢) سورة الدخان : الآيات من رقم (١ حتى ٦).

(٣) سورة البقرة : جزء الآية رقم : (١٨٥) .

يقول ابن الجوزى : فى قوله تعالى : ﴿إنا أنزلناه﴾ يعنى : القرآن الكريم ﴿فى ليلة القدر﴾ وذلك أنه أنزل جملة فى تلك الليلة إلى بيت العزة وهو بيت فى السماء الدنيا .. والهاء فى ﴿إنا أنزلناه﴾ كناية عن غير مذكور . وقال الزجاج : قد جرى ذكره فى قوله تعالى : ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾ (١) أهـ.

ويقول ابن كثير : يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهى الليلة المباركة، التى قال الله عز وجل : ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾ (٢) وهى ليلة القدر، وهى من شهر رمضان كما قال الله تعالى: ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن﴾ (٣).. قال ابن عباس وغيره : أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤)أهـ.

قلت : ولا يصح القول بأن المراد من قوله تعالى : ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ ليلة النصف من شعبان ، لأن هذا عدول عن تفسير القرآن الكريم ، فخير مايُفسر به القرآن الكريم هو القرآن الكريم. فالقرآن الكريم ذكر أن القرآن الكريم إنما نزل فى شهر رمضان. ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ..﴾ ووصف الليلة التى نزل فيها

---

(١) زاد المسير في علم التفسير : (١٨١/٩، ١٨٢).

(٢) سورة الدخان : جزء من الآية رقم : (٣)

(٣) سورة البقرة : جزء من الآية رقم : (١٨٥) .

(٤) تفسير ابن كثير : (٤٦٣/٤).

بأنها ليلة القدر فقال: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القد﴾ ووصفها بالبركة فى قوله تعالى : ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة..﴾.

يقول ابن كثير فى قول الله تعالى : ﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة..﴾ (١) يقول تعالى مخبرا عن القرآن العظيم أنه أنزله فى ليلة مباركة وهى ليلة القدر كما قال عز وجل :﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ (٢) وكان ذلك فى شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى : ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن..﴾(٣)

ومن قال إنها فى **ليلة النصف من شعبان** كما روى عن عكرمة **فقد أبعد النجعة** ، فإن نص القرآن الكريم أنها فى **رمضان** ، والحديث الذى رواه عبدالله بن صالح عن الليث عن عقل عن الزهرى أخبرنى عثمان بن محمد بن المغيره بن الأخنس قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه فى الموتى » فهو حديث مرسل ، ومثله لايعارض به النصوص .. وقوله تعالى : ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ (٤) أى فى ليلة القدر ، يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق ومايكون فيها إلى آخرها (٥) أهـ . ويقول الإمام محمد عبده : وهذه الليلة المباركة هى بعينها ليلة القدر فهى ليلة من شهر رمضان بلا شك كما يصرح

---

(١) سورة الدخان : جزء من الآية رقم : (٣) .

(٢) سورة القدر : الآية رقم : (١) .

(٣) سورة البقرة : جزء من الآية رقم : (١٨٥).

(٤) سورة الدخان : الآية رقم : (٤) .

(٥) تفسير ابن كثير : (١٢٣/٤).

به نص آية البقرة مع مايتضم إليه من الآيات وكل تأويل يخرج عن ذلك، وهو بعيد عن معنى النص بل لايقبله إلا من يقول إن الألفاظ العربية لاتدل على معانيها (١).

شرف الليلة التى أنزل فيها القرآن:

فأما ليلة القدر .

ففى تسميتها بذلك خمسة أقوال:

الأول: أن القدر . العظمة من قولك: لفلان قدْر، قاله الأزهرى . ويشهد له قوله تعالى: ﴿ وماقدروا الله حق قدره .. ﴾ (٢) .

الثانى: أنه من الضيق أى: هى ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون، قاله الخليل بن أحمد ، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ ومن قدر عليه رزقه .. ﴾ (٣).

الثالث: أن القدْر: الحكم كأن الأشياء تقرر فيها ، قاله ابن قتيبة .

الرابع: لأن من لم يكن له قدر صار بمراعاتها ذا قدر قاله أبو بكر الوراق .

الخامس: لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، وتنزل فيها رحمة ذات قدر وملائكة ذوو قدر حكاه شيخنا على بن عبيد الله (٤) أهـ .

---

(١) تفسير جزء عم: (ص١٤٩)

(٢) سورة الأنعام جزء من الآية رقم (٩١)، سورة الزمر جزء من الآية رقم: (٦٧).

(٣) سورة الطلاق جزء من الآية رقم: (٧).

(٤) زاد المسير (١٨٢/٩) ، ويراجع: مفاتيح الغيب جزء (٣٢ ص ٢٨) ، والجامع لأحكام القرآن (١٣٠/٢٠ ، ١٣١) ، والسراج المنير (٥٦٥/٤).

وقت ليلة القدر :

واختلفوا فى وقتها ، فأكثر أهل العلم أنها مختصة برمضان واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .. ﴾(١) وقال تعالى ﴿ إنا انزلناه فى ليلة القدر ﴾ فوجب ألا تكون ليلة القدر إلا فى رمضان لئلا يلزم التناقض وروى عن ابى بن كعب أنه قال : والله الذى لا إله إلا هو إنها فى رمضان حلف بذلك ثلاث مرات وعن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أسمع عن ليلة القدر فقال هى فى كل رمضان . وقيل : هى دائرة فى جميع السنة لا تختص برمضان حتى لو علق طلاق امرأته، أو عتق عبده بليلة القدر لا يقع مالم تنقض سنة من حين حلف. يروى ذلك عن أبى حنيفة، وعن ابن مسعود أنه قال: من يقم الحول يصبها (٢) ، (٣) أهـ.

قلت : القول القائل بأن ليلة **القدر** مختصة برمضان هو **الصحيح** وهو الذى تؤيده الأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ أنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾(٤) وقوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .. ﴾(٥) ، وقوله سبحانه ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم .. ﴾ (٦)

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية رقم (١٨٥).

(٢) السراج المنير : (٤/٥٦٦) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الصيام : باب فضل ليلة القدر : حديث رقم (١١٦٥) : المجلد الرابع الجزء (٨) (ص ٥٨) ، شرح النووي » .

(٤) سورة القدر : الآية رقم : (١) .

(٥) سورة البقرة : جزء من الآية رقم (١٨٥) .

(٦) سورة الدخان : (٣، ٤).

وتحروا ليلة القدر فى السبع الأواخر [1]، والأحاديث فى ليلة القدر كثيرة جداً وسيأتى كثير منها إن شاء الله تعالى. وغاية الأمر أن أصحاب القول القائل أنها فى جميع السنة لادليل معهم ولا حجة تعززه مما يجعله ضعيفاً جداً ليكون رأى الجمهور هو الراجح الصحيح . يقول القرطبى والجمهور على أنها فى كل عام من رمضان [2] أهـ .

وبناء على رأى الجمهور بأن ليلة القدر تكون فى شهر رمضان . فهل تختص ببعضه دون بعض ؟ على قولين .

الأول : أنها فى العشر الأواخر، قاله الجمهور، وأكثر الأحاديث الصحيحة تدل علية . وقد روى البخارى فى أفراده من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ، فى تاسعة تبقى أو سابعة تبقى ، أو خامسة تبقى [3]» وفى حديث أبى بكرة قال ماأنا بملتمسها لشىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فى العشر الأواخر، فإنى سمعته يقول : التمسوها فى تسع يبقين، أو سبع يبقين ، أو خمس يبقين أو ثلاث يبقين أو آخر ليلة [4].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحيه : كتاب الصيام : باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجي أوقات طلبها : حديث رقم : (١١٦٥) المجلد الرابع (٥٨/٧) « شرح النووي ».

(٢) الجامع لأحكام القرآن : (٣٥/٢٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضل ليلة القدر: باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر : حديث رقم (٢٠٢١) الجزء الرابع : (ص ٣٢٩) « فتح الباري ».

(٤) أخرجه الترمزي: باب ماجاء في ليلة القدر: حديث رقم (٧٩١) الجزء الثالث ص ٤٢٥، ٤٢٦) وقال الترمذي حديث حسن صحيح « تحفة الاحوزي شرح جامع الترمزي ».

الثانى : أنها فى جميع رمضان ، قاله الحسن البصرى . واختلف القائلون بأنها فى العشر الأواخر هل تختص بليالى الوتر دون الشفع ؟ على قولين :

الأول : أنها تختص الأفراد قاله الجمهور والأحاديث الصحاح كلها تدل عليه وقد أخرج البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ابتغوها فى العشر الأواخر من الوتر منها [1] »

الثانى : أنها تكون فى الشفع كما تكون فى الوتر ، قاله الحسن وروى عن الحسن ومالك بن أنس قالا : هى ليلة ثمانى عشرة .

واختلف القائلون بأنها فى الأفراد فى أخص الليالى بها على خمسة أقوال :

الأول : أن الأخص بها ليلة إحدى وعشرين . فروى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى . قال : اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم – العشر الوسط ، واعتكفنا معه ، فلما أصبحنا صبيحة عشرين رجع ورجعنا معه وأرى ليلة القدر ، ثم أنسيها فقال «إنى رأيت ليلة القدر ، ثم أنسيتها وأرانى أسجد فى ماء وطين فمن اعتكف فليرجع إلى معتكفه وهاجت علينا السماء أخر تلك العشية .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضل ليلة القدر : باب التماس ليلة القدر – في السبع الأواخر : حديث رقم (٢٠١٦) الجزء الرابع (ص ٣٢٥) مطولاً : « فتح الباري » ، ومسلم في صحيحه : كتاب الصيام : باب فضل ليلة القدر : حديث رقم (١١٦٧) المجلد الرابع جزء ٨ص٦٠) بلفظ مقارب ومطولاً « شرح النووي » .